



مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

حرامه مشيرة... وعطاء مسير

واحد يفيد

ردية من كل

تجار النبي

مهاجر

مهاجر

مهاجر

# آفاق الثقافة والتراث

مجلة  
فصلية  
ثقافية  
تراثية

تصدر عن قسم الدراسات  
والنشر والشؤون الخارجية  
بمركز جمعة الماجد  
للثقافة والتراث

السنة التاسعة عشرة : العدد الرابع والسبعون - رجب ١٤٣٢ هـ - يونيو (حزيران) ٢٠١١ م

الورقة (٨٢) من كتاب «معرفت نامه»؛ تصنيف: إبراهيم بن درويش عثمان حقي  
الحسني الحنفي الأضرومي (ت ١١٩٥هـ)؛ تاريخ النسخ: ١٢٤٩هـ.



Page 82 from the manuscript "Maarifat Nameh" Author: Ibrahim Ibn Darweesh Othman  
Heqqy Al Hasani Al Hanafi Al Ardhroumy (died 1195 A.H.) Copied on 1249 A.H.

تأليفه والاختيار

والحمد لله رب العالمين... وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بارك الله

# ضوابط طلب الرزق في ضوء رسائل النور

أ. د. أسامة عبد المجيد العاني  
الجامعة الإسلامية - بغداد

## مقدمة

من الأمور التي ترتقي بقدرات الإنسان وتضمن له مختلف جوانب حياته وبضمنها الجانب الديني، يحتل توفير الرزق وقدرته على سد احتياجاته موقعا أساسيا في سلم متطلبات الفرد، والعكس صحيح، فتعذر الحصول على الرزق يجعل الإنسان مضطربا وقلقا ومحدود الطاقات، يسهل بعدها جره إلى الانحراف لذلك قيل (كاد الفقر أن يكون كفرا) وعد الإمام الغزالي الرزق عارضة من العوارض التي قد تعوق أو تحد من خطى السالك لطريق الله تعالى.

وحيث أن الرزق مكفول به ومتعهد به من الخالق تجاه كل مخلوق، لذا يكتسب الرزق أهمية خاصة في الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾<sup>(١)</sup>. من جهة أخرى فإن هذا الرزق مقرون بالسعي وحسن التوكل، حيث إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. ويتحدد أيضاً بالغيب أي (بالقضاء والقدر) الذي يعد ركنا من أركان الإيمان. وهذه العلاقة أثارت جدلاً كبيراً بين فقهاء المسلمين والتزمت كل فرقة منهم رأياً معيناً واختلط فهمه على كثير من الناس.

ومع تعقد أمور الكسب والرزق في وقتنا

الحاضر، انتاب الناس سوء الفهم في جانب التوكل، أو فيما يتعلق بجانب الإيمان بالقدر، الأمر الذي يحتم ضرورة إعادة تسليط الضوء عليه وبحثه ضمن مستجدات العصر، هذا الموضوع تمت معالجته عصريا وذلك من خلال رسائل النور. سواء في الكلمات كما في رسالة القدر أو من خلال المكتوبات كما في المكتوب الثاني والعشرين أو في اللمعات كما في اللمعة الثانية عشرة والتاسعة عشرة وغيرها بشكل عام.

يهدف البحث إلى إيضاح أثر التوكل والتسليم بالقدر على طلب الرزق في ضوء رسائل النور. ولتحقيق هذا الهدف فقد تم

تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، تطرق الأول منها إلى تحديد مفهوم الرزق في ضوء الكتاب والسنة. التوكل وعلاقته بطلب الرزق هو ما تم تناوله في المبحث الثاني. أما المبحث الثالث فقد سعى إلى إيضاح معنى القضاء والقدر وعلاقته بطلب الرزق.

### سعيد النورسي توطئة موجزة

أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الراهن. ولد سعيد النورسي في قرية (نُورس) الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م) من أبوين صالحين كرديين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقر، كأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين. وإلى قريته (نُورس) يُنسب.

لم تكن حياة سعيد النورسي إلا ملحمة من الوقائع والأحداث التي وضع جميعها في خدمة القرآن العظيم وتفسير نصوصه، وبيان مرامي آياته البينات، ضمن رؤية تبلورت مع الزمن ومع أطوار رحلة العمر، وكانت غايتها النهائية بث اليقظة، وإعادة الحياة للأمة الإسلامية بعد طول رقاد.

وقام الشيخ سعيد بيران (البالوي) النقشبندي (١٩٢٥/٢/١٣) بالثورة ضد السلطة آنذاك، وطلب قائد الثورة من بديع الزمان استغلال نفوذه لإمداد الثورة إلا أنه رفض المشاركة وكتب رسالة إليه جاء فيها:

«إن ما تقومون به من ثورة تدفع الأخ لقتل أخيه لا تحقق أية نتيجة، فالأمة التركية قد

رفعت راية الإسلام، وضحت في سبيل دينها مئات الألوف بل الملايين من الشهداء، فضلاً عن تربيتها ملايين الأولياء، لذا لا يُستل السيف على أحفاد الأمة البطلة المضحية للإسلام، الأمة التركية، وأنا أيضاً لا أستلّه عليهم» .

ورغم ذلك لم ينجُ بديع الزمان من شرارة الفتن والاضطرابات؛ ففني مع الكثيرين إلى «بورودو»، ووصل إليها في شتاء سنة ١٩٢٦م. ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي «بارلا» جنوب غربي الأناضول. ويقول عن نفسه في هذه الفترة: «... صرفت كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة سعيد الجديد»، أخذتني الأقدار نفيًا من مدينة إلى أخرى، وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم، أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها «رسائل النور»، وهكذا استمر الأستاذ النورسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م، وهو يُنقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى، وهكذا طوال ربع قرن من الزمن لم يتوقف خلاله من التأليف والتبليغ حتى أصبحت أكثر من (١٣٠) رسالة، جمعت تحت عنوان «كليات رسائل النور» ولم يتيسر لها الطبع في المطابع إلا بعد سنة ١٩٥٤م. وكان الأستاذ النورسي يشرف بنفسه على الطبع حتى أكمل طبع الرسائل جميعها. وكانت تدور مواضيعها حول تفسير آيات القرآن بأسلوب علمي عصري وكان من أقواله: (إن الدين هو ضياء القلوب، أمّا العلوم الحديثة فهي نور العقول). وهو من رواد التفسير العلمي للقرآن.

وتوفي سعيد النورسي في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ٢٣ آذار ١٩٦٠م، فدفن في مدينة «أورفة». ولكن السلطات العسكرية الحاكمة لتركيا لم تدعه يرتاح حتى في قبره؛ إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بهدم القبر، ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة، بعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة «أورفة». فأصبح قبره مجهولا حتى الآن لا يعرفه الناس.

من أبرز مؤلفاته المثنوي العربي النوري، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، قطوف من أزاهير النور، (من كليات رسائل النور)، الآية الكبرى. ومؤلفات عديدة أخرى<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الأول :

### معنى الرزق في الكتاب والسنة

#### المطلب الأول: رؤية القرآن إلى طلب الرزق

الرزق (لغة): ما ينتفع به والجمع الأرزاق، و(الرزق) أيضاً العطاء، مصدر قولك رزقه الله يرزقه بالضم (رزق). قال الأزهري: يقال رزق الله الخلق (رزقا) بكسر الراء، والمصدر الحقيقي (رزقا) والاسم يوضع موضع المصدر، و(ارتزق) الجند أخذوا أرزاقهم<sup>(٣)</sup>.

يحث القرآن الكريم على طلب الرزق بدرجة تصل إلى صيغة الأمر ويتكرر هذا التأكيد بما يمكن الاستنتاج من نصوصه بأنه دعوة للعمل بشكل عام، ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>. ويرى الرازي في تفسيره لهذه الآية (بأنها صيغة أمر بمعنى الإباحة

بجلب الرزق بالتجارة، كما أن إباحة الانتشار زائلة بفرضية أداء الصلاة. فإذا زال ذلك عادت الإباحة فيباح لهم أن يتفرقوا في الأرض ويبتغوا من فضل الله وهو الرزق<sup>(٥)</sup>.

كما أن الباري عز وجل سخر الأرض وكيفها على نحو تتلاءم فيه وسعي المخلوق في طلب رزقه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾<sup>(٦)</sup>. والذلول كل شيء ينقاد ويدل لك ومصدره الذل وهو الانقياد، وبعد الانقياد جاء الأمر بالمشي في رحاب الأرض. ويؤكد هذا المفهوم قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾<sup>(٧)</sup>.

بل أن الشيباني يذكر بان (الله تعالى قد فرض على عباده الاكتساب لطلب المعاش يستعينون به على طاعته،<sup>(٨)</sup> وذلك في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٩)</sup>، (فجعل الاكتساب سببا للعبادة وعلى الرغم من ورود الاكتساب بمعان عدة، إلا أنه عند وروده بصورة مطلقة يفهم منه اكتساب المال. بل أن الشيباني يبني قاعدة مفادها (ما لا يتأتى إقامة الفرض إلا به يكون فرضا في نفسه<sup>(١٠)</sup>). ويستدل من ذلك على أن طلب الرزق يكون فرضا .

وفي ذلك السياق يقول النورسي (بينما الذي يقيم الصلاة دون أن ينسى نصيبه من الرزق، يبحث عنه في مطبخ رحمة الرزاق الكريم لئلا يكون عالة على الآخرين فجميل عمله، بل هو رجولة وشهامة، وهو ضرب من العبادة أيضاً)<sup>(١١)</sup>.

ويعطي القرآن لطلب الرزق مكانة كبيرة

الآخرة حكماً، أمّا الحكم في الدنيا فإنه يراه الله ويراه الرسول ويراه المؤمنون فإن كان العمل فيه طاعة حصل منه الثناء العظيم والثواب العظيم في الدنيا والآخرة).

### المطلب الثاني: نظرة السنة إلى طلب الرزق

وردت أحاديث كثيرة تحث على طلب الرزق، فقد روي أن النبي محمداً (ﷺ) قال: «من الذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة»<sup>(١٥)</sup>.

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد أن النبي (ﷺ) قال: «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء»

وروي الطبراني في معجمه الثلاثة أن النبي (ﷺ) كان جالساً مع أصحابه ذات يوم، فنظر إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى. فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال: لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخراً فهو يسعى في سبيل الشيطان<sup>(١٦)</sup>.

تدل الأحاديث المذكورة على أن الرزق هو من أبواب العمل التي يسرها سبحانه وتعالى لتكفير الذنوب. وكذلك فإن ارتقاء الإنسان بعمله في خدمة المجتمع يبلغه درجة الحشر مع الأنبياء والصديقين كما أن السعي على الوالدين وعلى الذرية وحتى السعي على النفس فقط يعد من الأعمال التي تدرج تحت لواء سبيل الله وتحظى برضاه سبحانه.

تصل إلى حد إضفاء القدسية عليه، واعتبار ممارسته من أرقى مظاهر الحياة الإنسانية، يشترك فيها النوع الإنساني برمته، بما فيه أفضل عناصره وهم الرسل، ولو حاولنا استسقاء الأدلة على هذه النظرة القدسية لطال ذلك ولكن يكفي لتباينها إيراد أمثلة منها<sup>(١٢)</sup>:

### المثال الأول:

وهو يشتمل على الآيات الدالة على ممارسة الرسل لطلب الرزق واعتبار سنة الله في رسله، ان يعتمدوا على عملهم في تحصيل رزقهم ومعاشهم وان يمشوا في الأسواق كغيرهم من الأفراد وهو قادر على أن يغنيهم عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾<sup>(١٣)</sup>.

### المثال الثاني:

ويشتمل على الآيات الدالة على طلب الرزق بمستوى فروض العبادة في القيمة والتقدير لدى الله تعالى، ومن هذه الآيات، الآية التي أباحت التجارة أثناء الحج ويذكر في هذا السياق قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١٤)</sup>.

ففي الآية دلالة واضحة على أن العمل الذي هو وسيلة لطلب الرزق، لينظر إليه فقط في الحياة الآخرة وإنما في الحياة الدنيا أيضاً وفي اقتران الرؤية بالله والرسول والمؤمنين إشارة إلى تقويم دنيوي، ومما جاء في تفسير هذه الآية (فكأنه تعالى يقول: اجتهدوا في المستقبل فإن لعملكم في الدنيا حكماً وفي الآخرة حكماً، أمّا الحكم في الدنيا حكماً وفي

## المطلب الثالث: ضوابط الرزق في الإسلام

يميز النورسي بين نوعين من الرزق، حيث يقول، نعم، إن الرزق قسمان:

القسم الأول: وهو الرزق الحقيقي الذي تتوقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني، يستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق الضروري مهما كانت الأحوال، إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه ولا التضحية بشرفه وعزته.

القسم الثاني: هو الرزق المجازي، فالذي يسيء استعماله لا يستطيع أن يتخلى عن الحاجات غير الضرورية، التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد. وثن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ولاسيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني<sup>(١٧)</sup>.

الإسلام كعادته دين وسط ونظام يضع لكل مصطلح مهم في حياة الإنسان ضوابط تحدد مساره وتجنبه الانحراف وكذلك الحال فيما يخص الرزق فقد وضعت له الضوابط الآتية:-

١- اليقين بان الله سبحانه قد كفل الرزق لكل العباد مؤمنهم وفاجرهم، إنسانهم وحيوانهم، يقول النورسي (إن التعهد الرباني بالرزق وتكفله له بنفسه حقيقة ثابتة. فلا أحد يموت من عدم على ذلك)<sup>(١٨)</sup>.

٢- إخلاص النية والتوكل على الله في كل عمل ابتداءً، وسيتم تناولها بالتفصيل عند طرح فقرة التوكل.

٣- السعي هو المصدر الوحيد لطلب الرزق:

تتجلى هذه القاعدة في مواضع عديدة من كتاب الله العزيز، فالسعي ونوعه هو الذي يحدد طبيعة النتيجة التي سيحصل عليها العبد سواء كانت دنيوية أو أخروية، فمن ابتغى النتيجة الدنيوية فقط يطمئنه القرآن بأنه سيحصل على نتيجته دون إنقاص، تشير إلى ذلك الآية الكريمة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>.

وإن أراد العبد ابتغاء الآخرة في عمله فانه سيحصل على نتيجة عمله الملموسة دنيوياً وكذلك على الأجر والثواب في الآخرة ﴿فَمَنْ أَلْكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمَنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢٠)</sup> أَوْلَيْكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢١)</sup>.

وفي معرض حديثه عن تكفل الباري بالرزق لعباده وضرورة السعي، يذكر النورسي (عندما يتكامل الاقتدار والاختيار-للإنسان- فلا يعدو الرزق نحوه ولا يساق إليه، بل يسكن قائلًا: تعال اطلبني، فتش عني وخذني)<sup>(٢٢)</sup>.

## ٤- اليقين بأن هناك تفاوتاً في الرزق بين العباد:

ويرجع ذلك إلى أن الأفراد ليسوا سواء، إذ يختلف أحدهم عن الآخر بحسب طبيعة العمل المؤدى ودرجة إتقانه. فالعمل قد يختلف من حيث طبيعته فيما يخص درجة صعوبته أو سهولته ومقدار الجهد المبذول فيه، وقد يتطلب العمل الانتقال من مكان إلى آخر وفقاً

لتوفر المواد الأولية أو قد يتطلب استقراراً إلى غير ذلك، أمّا درجة الإتقان فمختلف إلى طبيعة المهارة أو المستوى العلمي المطلوب لذلك العمل .

قال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٢)، وقد جاء في تفسير هذه الآية أن تقدير الكلام لهم درجات عند الله، لأن اختلاف أعمالهم قد صيرتهم بمنزلة الأشياء المختلفة في ذاتها، والحكماء يقولون: أن النفوس مختلفة بالماهية والحقيقية، واختلاف هذه الصفات ليس لاختلاف الأمزجة البدنية، بل لاختلاف ماهيات النفوس، ولذلك قال ﷺ (الناس معادن) (٢٣). ويمكن أن نعد كلام النورسي رحمه الله حول أنواع الرزق أيضاً أسباب التفاوت في الرزق. فالجميع متساوون في الرزق الحقيقي، إلا أنهم متفاوتون في الرزق المجازي.

#### ٥- المسؤولية الفردية في كسب الرزق:

لا يمكن النمو الصحيح لفردية الإنسان والنبوغ الكامل لشخصيته بدون أن يكون متمتعاً بالحرية في فكره وعمله، ولهذا الغرض لا يحتاج الإنسان إلى حرية الرأي وحرية الكتابة والخطابة وحرية السعي وحرية الاجتماع فحسب، بل يحتاج إلى حرية المعاش أيضاً وتلك حقيقة فطرية لا حاجة لإثباتها إلى بحث طويل عريض، لذا فإن لم يكن حراً في معاشه فلا حرية له أصلاً.

ثم أن الإسلام يريد أن يبقى الإنسان أقرب ما يكون للحالة الفطرية، ولا يجب منه التكلف والتصنع في أي ناحية من نواحي الحياة، والحالة الفطرية للاقتصاد الإنساني

هي أن يملك الأفراد ما قد بسط الله تعالى من وسائل الرزق على وجه الأرض ويتصرفوا فيها ويتمتعوا بها أفراداً وطوائف، ويتبادلوا الأشياء والجهود والخدمات على صفة حرة فيما بينهم، وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية (٢٤).

#### ٦- رعاية الدولة لتوفير فرص الرزق:

ينبغي أن تقوم الدولة الإسلامية تجاه رعاياها بتوفير العمل المناسب لهم حتى ولو اقتضى الأمر إقراضهم من بيت المال لكي يوفروا لأنفسهم ما يؤهلهم للكسب والارتزاق.

روى أصحاب السنن عن أنس بن مالك (أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ - أي للسؤال - فقال: أمّا في بيتك شيء؟ فقال بلى: حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب به الماء، قال ائتني بهما، فأخذهما الرسول ﷺ، وقال: من يشتري هاتين؟ قال رجل أنا أخذهما بدرهم قال من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً، قال رجل أنا أخذهما بدرهمين، فأعطى الدرهمين للأنصاري، وقال اشتر بأحدهما طعاماً وانبذه لأهلك واشتر بالآخر قدوماً فأتني به فشد فيه رسول الله ﷺ) عوداً بيده ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً. فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير أن تجيء المسألة، المسألة نكتة في وجهه يوم القيامة) (٢٥).

يلاحظ من هذا الحديث أن النبي ﷺ وهو يمثل الدولة قد وفر المال اللازم لعائلة العامل قبل ابتدائه لعمله ولشراء وسيلته. وعرف قابلية السائل في نوع العمل الذي يتمكن

منه، وحدد سلعة تتميز بتوفير سوق لها إذ أنها سلعة ذات طلب متعدد. فإذا ما كان طالب العمل في حاجة إلى إعداد خاص، أو تدريب مهني يستطيع به أن يجيد العمل المناسب فمن واجب الإسلام (جماعة وحكومة) أن تساعد على ذلك حتى ينهض بعمله، دون طلب لمعونة أو صدقة، أضف إلى ذلك أن مسؤولية الدولة تقع في متابعة عمل الفرد بعد تحديد عمله كي ينهض بالعملية الإنتاجية أو على الأقل معرفة النتائج المتحققة في عمله.

### المطلب الرابع: الاستخلاف وطلب الرزق

عندما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وأراد أن يكون خليفة له في أرضه أنيطت به مهمة العبادة ذلك؛ لأنَّ الحق يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(٢٦)</sup>. ويذكر النورسي في تفسير هذه الآية (أنكم لم تخلقوا لإيصال الرزق إلى مخلوقاتي التي تعهدت أنا برزقهم. فالرزق أنا به زعيم. فواجبكم الأساس هو العبودية والسعي على وفق أوامري للحصول على الرزق وهو بذاته نوع من العبادة).<sup>(٢٧)</sup>

والعبادة لله تقوم على الحب الخالص لله مع الذل الكامل له. ومظهر ذلك توجه العبد إلى الله والتوكل عليه والثقة به والخوف منه والإنابة إليه والطلب منه والأنس بذكره.. وإقامة دينه والاصطباغ بصيغته وجعل السلوك والأقوال والأفعال وسائر الأحوال على الوجه المرضي لله وبهذا يحقق المسلم الشهادة بالقول والعمل<sup>(٢٨)</sup>.

من هنا فإن مهمة العبادة وإقامة الدين وجعل سلوك الفرد والمجتمع، منسجما مع الله

والشكل الذي يريده الله سبحانه وتعالى للأمة والعبد منحصراً بالمواصفات ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(٢٩)</sup>. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بالعمل وممارسة جميع أنواع النشاط الاقتصادي الذي يسخر للفرد والسلطة ممارسة دورها القيادي.

تتجسد ممارسة الدور الفردي والمجتمعي بقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾<sup>(٣٠)</sup> التي يستند عليه الجصاص لإعلان أن الإنسان مأمور بعمارة الأرض بموجب هذه الآية<sup>(٣١)</sup>.

إنَّ الأساس الذي تقوم عليه مهمة (عمارة الأرض) هو العمل الذي تطيب به حياة الإنسان فيحقق وعيه وحريرته وحاجته ومن هنا تأكيد القرآن الكريم على القيمة العليا للعمل (العمل الصالح) الذي يأتي قرين الإيمان دائماً، والذي هو بجوهره (العمل المنتج) ذلك أن كل (عمل صالح) يتضمن بالضرورة (عملاً منتجاً)<sup>(٣٢)</sup>.

إنَّ (عمارة الأرض) تمثل تنفيذاً لأمره سبحانه وتعالى للسعي في طاعة الله والتي تمثل في كل جانب من تفصيلاتها طلباً للرزق، فإعالة النفس والزوجة والوالدين هو أمر بالمعروف واحترام الذات، والكف عن السؤال والابتعاد عما حرم لكسب لقمة العيش هو نهى عن المنكر وكل عمل يبغى به وجه الله سبحانه هو عبادة: الأمر الذي يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن مهمة الخلافة متلازمة مع طلب الرزق ولا تتحقق إلا بها .



وإن أراد العبد ابتغاء وجه الله في عمله فإنه سيحصل على نتيجة عمله الملموسة دنيوياً وكذلك على الأجر والثواب في الآخرة ﴿فَمَنْ الْتَكَسِ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ (٢٣).

### المبحث الثاني :

### التوكل وعلاقته بطلب الرزق

#### المطلب الأول: مفهوم التوكل

التوكل لغة (الوكيل) معروف يقال (وَكَّلَهُ) بأمر كذا (توكيلاً) والاسم (الوكالة) بفتح الواو وكسرهما. و(التوكل) إظهار العجز والاعتماد على غيرك والاسم (التكلان)، واتكل على فلان في أمره إذا اعتمده (٢٤).

#### أما في الاصطلاح الشرعي:

فيقول الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

وقال بشر الحافي: يقول أحدهم توكلت على الله، ويكذب على الله لو توكل على الله لرضى بما يفعل الله. ومنهم من قال التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه.

وقال الإمام الغزالي في الإحياء (اعلم أن التوكل من باب الإيمان) وجميع أبواب الإيمان لا تنظم إلا بعلم وحال وعمل.

أمّا ابن القيم رحمه الله فقد ذكر بأن

التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها. وذكر عدداً من هذه الأمور، فأولها معرفة بالرب وصفاته، ومنها رسوخ القلب في مقام التوحيد، ومنها اعتماد القلب على الله، فالتوكل كالطفل لا يعرف شيء يأوي إليه غير ثدي أمه، ومنها حسن الظن بالله ﷻ، ومنها استسلام القلب لله، ومنها التفويض إليه (٢٥).

ويقول القزويني (وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى والثقة به، مع ما قدر له من التسبب) (٢٦).

أمّا النورسي فيقول (فالإيمان يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل) (٢٧). مما يدل على أن التوكل يعني مقتضى التسليم إلى الباري سبحانه. والتوكل أيضاً هو (التوكل على الله والتحلي بالصبر، أي الاستناد إلى قدرة الخالق الكريم والثقة بحكمته سبحانه) (٢٨). وهو أيضاً (الصبر عند المصيبة، وهذا هو التوكل وتسليم الأمر إليه سبحانه) (٢٩).

#### المطلب الثاني: إشكالية التوكل والأخذ بالأسباب

لا يتنافى التوكل إطلاقاً مع الأخذ بالأسباب بل هما مقتربان، ويدل على ذلك الكتاب والأحاديث التي وردت في السنة المطهرة وسنن الأنبياء من قبل وكذلك فعل الصحابة والتابعين .

أولاً- الأدلة في الكتاب:

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا﴾

فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿٤٠﴾ .

وقال تعالى أيضاً: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿٤١﴾ .

هذه الآيات وغيرها ترشدنا إلى أن هناك أوامر واضحة من الباري عز وجل بالمشي في مناكب الأرض كما أن المؤمنين كادحون يعملون قبل الصلاة وبعدها مما يدل على وجوب اتصاف المؤمنين بالسعي.

ويعلمنا القرآن الكريم كيف خطط نبي من أنبياء الله لمواجهة القحط الذي أصاب مصر ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ، مما يدل على ضرورة إعداد التدابير اللازمة والأخذ بالأسباب. ويتمثل في هذه الآية بزيادة الإنتاج الزراعي في السبع سنوات الأول وتقليل الاستهلاك فيها كي تتم مواجهه الأزمة فيما بعد. فالآيات المذكورة وهناك العديد غيرها تدلل على مشروعية الأخذ بالأسباب.

ثانياً- الأدلة من السنّة:

وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تأمر بالأخذ بالأسباب منها قوله (ﷺ) أنه قال للأعرابي، كما ورد في حديث أنس بن مالك، الذي ترك ناقته بباب المسجد طليقة بعد توكله على الله قال (اعقلها وتوكل) (٤٣).

ويقول (ﷺ) (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خصاما وتروح بطاناً) (٤٤) من هنا يمكن الاستدلال

على الترابط بين التوكل والأسباب، فالأصل حسن التوكل لكنه مرتبط بالفعل وهو (الغدو خصاماً) أي أن السبب في تحقق الرزق هو سعيها وإلا لقال شيئاً آخر .

ولا يتسع المقام لسرد أحاديثه في الحث على العمل و طلب الرزق، عن طريق ممارسة الأعمال المشروعة كالزراعة والصناعة والتجارة فهي كثيرة ومشهورة. هو ما كان من عمل الفرد حيث قال (ﷺ) (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) (٤٥).

ثالثاً : فعل الصحابة والتابعين:

لم تذكر كتب السيرة على اختلاف أنواعها رواية تدل على تقاعس أحد من الصحابة عن الأخذ بالأسباب لطلب الرزق .

فهذا أول خليفة لرسول الله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يريد بعد بيعته الذهاب إلى السوق كي يوفر القوت لأهله. فكره له الصحابه رضوان الله عليهم له ذلك فقال: لا تشغلوني عن عيالي، فاني أن أضعتم كنت لما سواهم أضيع، حتى فرضوا له دخلا من بيت مال المسلمين (٤٦).

ويروي معاوية بن قره بان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقي ناساً من أهل اليمن فقال من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون قال بل أنتم المتوكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله (٤٧).

وقال عمر (رضي الله عنه) أيضاً لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن

البلد الحرام، كيف ذا وأنت تأمر بخلاف ذا؟ فقال ابن مبارك: يا أبا علي اعمل ذلك لأصون بها وجهي وأكرم بها عرضي، واستعين بها على طاعة ربي. لا أرى لله حقا حتى سارعت إليه حتى أقوم به، فقال له الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا أن تم ذا<sup>(٥٠)</sup>.

يعالج النورسي إشكالية التوكل والأخذ بالأسباب من خلال قوله رحمه الله (ولا تظنن أن التوكل هو رفض الأسباب وردّها كلياً، وإنما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية، ينبغي رعايتها ومداراتها، أما التشبث بها أو الأخذ بها، فهو نوع من الدعاء الفعلي. فطلب المسببات إذن وترقب النتائج لا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى، وإن المنّة والحمد والثناء لا ترجع إلا إليه وحده<sup>(٥١)</sup>).

مما يدل على أن الراشدين أبو بكر وعمر وغيرهم (رضي الله عنهم) لم يتركوا الأسباب في طلب الرزق أو إنجاز الأعمال حتى مع الأعمال التي يبتغي فيها وجه الله وهي الحج- فعل عمر مع أهل اليمن - أمّا التابعون فقد كان نهجهم امتداداً لفعل النبي والصحابة من بعده.

### المطلب الثالث: التوكل والرزق

حين تحدث الغزالي في كتابه (مناهج العابدين) عن العوارض التي تعرض لسالك الطريق إلى الله جعل في مقدمتها الرزق ووصف لها العلاج في التوكل. ولا يخفى ما للرزق من حيز في مشاغل الإنسان وتفكيره إلا أن المؤمن المطمئن قلبه بالله قد فرغ من هذا الأمر وأيقن بأن مسألة الرزق مقسومة ولن يكون هناك كائن له القدرة على إنقاص أو

السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. وكان زيد بن مسلمة يفرس في أرضه، فقال له عمر أصبت استغن عن الناس يكون أصون لدينك وأكرم لك وعليهم.

وقال ابن مسعود إنني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته<sup>(٤٨)</sup>.

وقد حكوا عن شقيق البلخي - وهو من أهل العبادة والزهد أنه ودّع صديقه إبراهيم بن أدهم، لسفره في تجارة عزم عليها، فما لبث أن وجده عائداً، فيروي شقيق أنه نزل للراحة في الطريق فدخل خربة يقضي بها حاجته فوجد فيها طائراً أعمى كسيحاً لا يقدر على حركة فرق لحاله، وقال في نفسه: من أين يأكل هذا الطائر الأعمى حتى يأكل ويشبع، في هذه الخربة فلم يلبث أن جاء طائر آخر يحمل الطعام إليه ويمد به حتى يأكل ويشبع ويضيف: إن الذي رزق هذا الطائر الأعمى الكسيح في هذه الخربة لقادر على أن يرزقني لذلك عاد. وهنا قال له إبراهيم بن أدهم: سبحان الله يا شقيق لماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى العاجز الذي ينتظرون غيره ولا تكون أنت الطائر الآخر الذي يسعى ويكدح ويعود بثمرة ذلك على من حوله من العمي والمقعدين، أمّا علمت أن النبي (ﷺ) قال: (اليد العليا خير من اليد السفلى) فقام شقيق وقبل يده وقال له: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق<sup>(٤٩)</sup>.

ويروي القزويني في مختصره شعب الإيمان بأنه سمع أبا علي الفضيل بن عياض يقول لابن المبارك أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى

زيادة ذلك الرزق من دون مشيئة الله تعالى، مع إصراره على الأخذ بالأسباب بل يعمل ويكدر وإن الله سيبارك له ويقسم رزقه المقدر من دون أن يتجاوز على رزق الآخرين أو أن يستحوذ عليه أحد غيره.

جهل عرب الجاهلية هذا الأمر فاقترفوا أبشع جريمة وهي قتل أولادهم بأيديهم شر قتلة وبأخبث دافع، من أجل إملاق (فقر) واقع أو خشية (إملاق) متوقع أي مخافة أن يطعموا معهم ويزاحموهم في رزقهم غافلين عن أن رزقهم يأتي معهم<sup>(٥٢)</sup>. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(٥٣)</sup>.

وقد أبطل الإسلام هذه الجريمة وعلم الناس أن الله هو الرزاق الكريم . ولكن الجاهلية الحديثة - جاهلية القرن الواحد والعشرين - تسعى إلى إحياء ما درس من الجاهلية الغابرة من تخويف للبشرية في أمور الرزق. وذلك من خلال وثيقة مؤتمر السكان العالمي في القاهرة / ١٩٩٤، إذ أنها تدعو إلى أن الحد من النمو السكاني يمثل الطريق الأمثل لتحقيق التنمية ورفع مستوى المعيشة واحتواء الفقر وذلك من خلال إنهاء الحمل وتخفيف عواقب الإجهاض . . . الخ<sup>(٥٤)</sup>.

ومع ذكر الأدلة على الأخذ بالأسباب وعدم منافاتها للتوكل نجد اشتطاط المغالين بين إفراط وتفریط فيما يخص هذه المسألة. هناك من ترك الأخذ بالأسباب ولم يلق لها أي بال بل قالوا بأن الله تعالى غير خالق لإكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون إكسابهم،

وأنه ليس لله عز وجل في إكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير وأولئك هم القدرية<sup>(٥٥)</sup>.

أما الجبرية فعلى النقيض منهم قالوا إن الله يخلق جميع أفعال الإنسان، وجميع الخاصيات التي يحدثها الإنسان في الأشياء - ومنها طلب الرزق - وهو الذي يوجدها ولا دخل للعبد في خلق الفعل أو إيجادها<sup>(٥٦)</sup>.

وهناك العديد من المشايخ الصوفية عدّوا الأخذ بالأسباب قدحا في التوكل، فأبو سليمان الداراني يقول: لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الشيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص. وبإسناد عن ذي النون المصري أنه قال سافرت سنين وما منح لي التوكل إلا ووقتا واحدا عندما ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لي نفسي إن حكّم الله عليك بالفرق فما تتفعل هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعتم على الساحل<sup>(٥٧)</sup>. مما يبين إنكارهم للأخذ بالأسباب على أي شكل وأي حال.

أنكر فقهاء الأمة المتبوعون وأئمتها المعترفون على كل من فرط أو أفرط في الأخذ بالأسباب . فالإمام سفيان الثوري إمام الفقه والزهد يقول، (العالم إذا لم تكن له معيشة صار وكيلاً للظلمة، والعابد إذا لم تكن له معيشة صار وكيلاً للفساق)<sup>(٥٨)</sup>.

وممن رد على الصوفية في تصرفهم هذا وعدّ عملهم من تلبيس إبليس عليهم ابن الجوزي في كتابه (تلبيس إبليس) حيث قال: قلة العالم أوجب التخليط ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد. وذلك أن

إلى أسباب دنيوية ونسيان للمسبب الأصلي. وقد رد الله سبحانه وتعالى على أولئك في قوله ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴾ (٦٤).

يشرح حال أولئك، فيصفهم النورسي بقوله: (فالأسباب الظاهرة التي هي، في وهم أهل الغفلة، في حكم -خالق ومنعم-. والتي تكون حجاباً حقيقياً دون المنعم الحقيقي، إذ يتشبثون بها ويرون ورود النعمة والإحسان من تلك الحجب، فيقدمون ثناءهم ومدحهم إليها<sup>(٦٥)</sup>، فيا عابد الأسباب. . . أيها المسكين<sup>(٦٦)</sup>).

إن تحصيل الرزق يتم في إطار دائرتين هما الأسباب الإرادية والأسباب اللا إرادية الأسباب التي لا يعلمها الإنسان، أمّا الأسباب الإرادية فتمثلها دائرة علم الإنسان وجهوده، وبالتقاء الدائرتين وتداخلهما نحصل على النتيجة، وكلما كان جهد المرء وتحركه منصبا في حدود الأسباب الإرادية، كانت النتيجة علمية ومتماشية مع متطلبات السنن الكونية. وعلى الرغم من أن أثر الأسباب الإرادية يمكن أن يلاحقه ويصل إليه إلا أن المرء يظل يشعر في قرارة نفسه بعدم التقصير وبالاكتفاء وذلك من خلال الإنجاز والقيام بدوره على أكمل وجه والرضا في كل حال وهو من مظاهر التوكل<sup>(٦٧)</sup>.

#### المطلب الرابع: دور الأسباب في تفاوت الرزق

إن الأخذ بالأسباب هو الأساس في طلب الرزق ولا ينافي التوكل إطلاقاً، إلا إنه قد يكون

التوكل اعتمد القلب على الوكيل وحده وذلك لا ينافي حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال. فقد قال تعالى ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ (٥٩)، أي قواماً لأبدانكم واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر فقال: ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (٦٠). وقد ظاهر الرسول (ﷺ) بين درعين يوم أحد واختفى في الغار يوم الهجرة وقال من يحرسني الليلة، وأمر بإغلاق الباب. وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي (ﷺ) قال: أغلق بابك) وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافي الاحتراز<sup>(٦١)</sup>.

الأخذ بالأسباب هو دعاء فعلي، علماً أن اجتماع الأسباب ليس المراد منه إيجاد المسبب. وإنما هو لاتخاذ وضع ملائم ومُرضٍ لله سبحانه لطلب المسبب منه بلسان الحال. حتى أن الحراثة بمنزلة طرق باب خزينة الرحمة الإلهية. (٦٢).

وشاع في زماننا صنف من الناس اعتمد على الأسباب دون مسببها فتشبثوا بها بجوارحهم وقلوبهم وغفلوا عن مسببها وخالقتها فكل نظرهم إليها، وكل اعتمادهم عليها، حتى أمست وكأنها آلهة تعبد مع الله، أو من دون الله. فلا يكاد أحدهم يرى الرزق إلا في الوظيفة التي يقبض راتبه منها كل شهر، أو في التجارة التي تعود عليه بالأرباح كل عام، أو في الشركة التي أسهم فيها أو في أبيه الذي تكفل بالنفقة عليه، أو بفلان الأمير أو الوزير أو الوجيه الذي يسنده في منصبه ويسهل له صفاته<sup>(٦٣)</sup>. (ففضل هؤلاء قدح في التوكل وبعبارة أخرى قدح في الإيمان والركون كلياً

سببا في الاختلاف في مقدار الرزق وذلك من خلال الآتي:

١- اختلاف كمية العمل المبذول: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَيُؤْتِيهِمُ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ (١٩) ﴿٦٨﴾.

٢- اختلاف درجة الإتقان والأداء ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٩) حيث تركز الاهتمام على اختلاف الدرجات في المكافأة الناجمة عن اختلاف وتباين المزايا والقدرات الذاتية.

٣- اختلاف درجة التضحية والخطورة. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٩٥) ﴿٧٠﴾. فعلى الرغم من أن الآية تدل على اختلاف الأجر ما بين المجاهدين والقاعدين. إلا أنها يمكن أن تمدنا بمعايير موضوعية واضحة للتفاوت في الرزق لاعتبارات الخطورة والتضحية مع استواء جميع العاملين بصفة الإيمان.

٤- اختلاف المزايا والصفات الفردية التي تنعكس على أداء العمل: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (٧١). مما تقدم يلاحظ أن الأسباب المأمور الأخذ بها لتحقيق الرزق تمارس دورا في تفاوته وذلك من خلال اختلاف كمية العمل المبذول لكل شخص واختلاف درجة الإتقان والأداء، وتبعاً

لمقدار التضحية المطلوب تقديمها وخطورتها واختلاف المزايا والصفات الفردية المنعكسة على الأداء (٧٢).

### المبحث الثالث:

## الرزق وعلاقته بالقضاء والقدر

### المطلب الأول: معنى القضاء والقدر

#### تعريفه لغة

القضاء: الحكم والجمع (الأقضية) (٧٣)،  
القدر: (قدر) الشيء مبلغه، والقدر أيضاً ما يقدره الله من القضاء (٧٤).

اصطلاحاً القدر علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل. والقضاء إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته وقد عرفها السيد سابق تعريفاً واحداً فقال هو النظام الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها (٧٥).

معنى الإيمان بالقدر: يقصد بالإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله القديم والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وفي بيان ذلك يقول الشيخ الإمام ابن تيمية بأن الإيمان بالقدر يكون على درجتين وكل درجة تشتمل على شيئين (٧٦).

#### الدرجة الأولى:

الإيمان بان الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أولاً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والأجل ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما اكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم

أن المؤمن يعطي لله كل شيء، ويحيل إليه كل أمر، وما يزال هكذا حتى يحيل فعله ونفسه إليه. ولكي لا ينجو في النهاية من التكليف والمسؤولية يبرز أمامه الجزء الاختياري قائلاً له: (أنت مسؤول، أنت مكلف)!(<sup>٧٧</sup>).

من هذا كان (القضاء والقدر) والإيمان بها يعنيان تقدير الله تعالى أرزاق المخلوقات (إنساناً وحيواناً) وأقواتهم تبع ذلك في علم الله القديم وكتبه في اللوح المحفوظ. كذلك فإنه بقدره الله ومشيتته مكن العباد من السعي وممارسة أعمالهم وجعل لهم إرادة في الاختيار مع كونه خالقهم وكل ماسواه مخلوق.

فالعقل المميز الذي خلقه الله سبحانه وتعالى للإنسان أعطاه بأن يقوم بالفعل أو يتركه (أي بإمكانه أن يبحث عن العمل الذي يتلاءم مع إمكانياته للحصول على الكسب فإن واءمه استمر به وان ضره تركه لذلك كان الإنسان مختاراً في التوجه نحو الفعل أو الترك، بما وهبه الله من العقل المميز وجعله مناط التكليف الشرعي.

لذا، فإن مسألة القدر ليست للفرار من التكليف والمسؤولية بل هو لإنقاذ الناس من الفخر والغرور ولهذا دخلت ضمن مسائل الإيمان(<sup>٧٨</sup>).

### المطلب الثاني: الإيمان والأخذ بالأسباب

الإنسان مأمور بالأخذ بالأسباب، بعد التوكل على الله عَلَيْكَ، وإيمانه المطلق بأن بيده سبحانه كل شيء. وأن الأسباب ليس بمقدورها إعطاء النتائج إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى، فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار.

القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف.

الدرجة الثانية: فهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه وتعالى: (لا يكون في ملكه ما لا يريد وإنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخاوف في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه ولا خالق غيره ولا رب سواه ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ولا يحب الكافرين، والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعباد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر وللعبادة قدر على أعمالهم ولهم إرادة والله خالق قدرتهم وإرادتهم .

ويرى ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي:

الأولى: الإيمان بعلم الله القديم وإنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.

الثانية: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.  
الثالثة: مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

الرابعة: إيجاد الله لكل المخلوقات وإنه الخالق وما سواه مخلوق.

أن القدر والجزء الاختياري جزءان من إيمان حالي ووجداني، يبين حدود الإيمان والإسلام، وليس مباحث علمية ونظرية. أي:

الأرض هذا من جانب.

من جانب آخر، يحتم الإيمان بالقضاء والقدر استسلام العبد لنتيجة سعيه بعد الأخذ بالأسباب فإن كان خيراً شكر وإن كان ضراً صبر ورضي بما قدر الله فهذه النتيجة قد تكون اختياراً له من ناحيه الإيجاب والسلب على حد سواء .

تلعب الأمور القدرية الدور ذاته في تفاوت الرزق وفقاً لمشيئة الله سبحانه وتعالى، وحكم جليلة منه يمكن إدراجها في الآتي (٨٣):

إصلاح حال الدنيا قال تعالى ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (٨٤).

مساعدة الناس لبعضهم البعض قال تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (٨٥)، ويعني ذلك أن الله خلق الناس على درجات في الرزق والعلم والمهنة من أجل تحقيق التبادل في المنافع التي تختلف باختلاف الأفراد.

لغرض الابتلاء والاختبار قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٨٦).

### الخاتمة

عني الإسلام بطلب الرزق، وتفاوت رأي العلماء في وجوبه، فالإمام الشيباني جعل الاكتساب سبباً للعبادة بل استدل من بعض القواعد على كون طلب الرزق فرضاً . وعده الإمام النورسي نوعاً من العبادة. وحدد الإسلام

فالاتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة في المسببات، شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع (٧٩).

ويعلق شارح العقيدة الطحاوية على هذا الموضوع قائلاً (وقد ظنَّ بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدره فلا حاجة إلى الأسباب وهذا فاسد فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب ومنه مكروه ومنه حرام. وقد كان النبي محمد ﷺ أفضل المتوكلين يلبس ثياب الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب (٨٠).

يقول ابن القيم: (لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها لله تعالى. وإن تعطيلها يقدر في نفس التوكل. . وإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد في هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب إلا إذا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً عجزاً (٨١).

أن الجزء الاختياري (الأخذ بالأسباب) لا ينافي القدر، بل أن القدر يؤيده ذلك لأن القدر نوع من العلم الإلهي وقد تعلق العلم الإلهي باختيارنا، ولهذا يؤيد الاختيار ولا يبطله (٨٢).

مما تقدم فإن الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي إطلاقاً الأخذ بالأسباب المختلفة لتحقيق الرزق، فعدم الأخذ بالأسباب هو قدح في التوكل وهذا يعني قدح في التوحيد وتعطيلها تعطيل للإيمان وللوظيفة الرئيسة التي خلق الإنسان من أجلها وهي الخلافة في



طلب الرزق بضوابط معينة في إطار اهتمامه به، فأمر بإخلاص التوكل على الله وحصر طرق الاكتساب بالسعي، وأقر تفاوت الرزق بين العباد وجعله مسؤولية فردية ابتداء، ثم مسؤولية الدولة شرعا. وتبين من البحث بأن التوكل لا يتنافى إطلاقاً مع الأخذ بالأسباب، فهما مقترنان، بدلالة الكتاب والسنة المطهرة، وسنن الأنبياء من قبل، وكذلك فعل الصحابة (رضي الله عنهم) ومن ثم التابعين رحمهم الله.

لقد عالج الإسلام ومن خلاله رسائل النور، إشكالية العلاقة بين الأخذ بالأسباب والتوكل وربط ذلك بالقدر، واتضح من خلال البحث، إن دين الوسطية أراد لخليفة الله في أرضه أن يمارس دوره الطبيعي في الحياة والسعي من أجل تنفيذ واجب الخلافة دون إفراط أو تقريط. وإن الباري سبحانه كفل الرزق، إلا أنه حتم السعي من أجل الحصول عليه. وقد جسدت هذه العلاقة المتوازنة في رسائل النور، مما يحتم أن تكون دليل عمل للشعوب الإسلامية لتحث الخطى من أجل السعي للنهوض بواقعها وإدراك المكانة التي رسمها الباري لها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### الحواشي:

- ٦- الملك/١٥.
- ٧- نوح/١٩-٢٠.
- ٨- الشيباني، الاكتساب، ١٤.
- ٩- الجمعة/١٠.
- ١٠- الشيباني، الاكتساب، ١٤.
- ١١- الكلمات، الكلمة الخامسة، ٢٠.
- ١٢- خليل، ١٩٨٦: ١١٧-١٢٠.
- ١٣- الفرقان/٧.
- ١٤- التوبة/١٠٥.
- ١٥- الطبراني في الأوسط: ١/٣٨.
- ١٦- سنن البيهقي: ٧/٤٧٩.
- ١٧- اللمعة التاسعة عشرة، ص ٢١٦.
- ١٨- اللمعة التاسعة عشرة، ١٩٥.
- ١٩- هود/١٥.
- ٢٠- البقرة/٢٠٢.
- ٢١- اللمعات، اللمعة الثانية عشرة، ص ٨٩.
- ٢٢- آل عمران/١٦٣.
- ٢٣- الرازي: التفسير الكبير ٦/٧٥ - ٧٧.
- ٢٤- المودودي (١٩٨٦: ١٢٦ - ١٢٨).
- ٢٥- ابن ماجه: سنن ابن ماجه: ٢/٧٤٠.
- ٢٦- الذاريات/٥٦.
- ٢٧- اللمعة الثامنة والعشرون، ٣٩٨.
- ٢٨- زيدان، ١: ١٩٨٧.
- ٢٩- آل عمران/١١٠.
- ٣٠- هود/ ٦١.
- ٣١- الجصاص، أحكام القرآن: ٣/١٦٥.
- ٣٢- الفارس، ٢٨: ١٩٩٠.
- ٣٣- البقرة/٢٠٢.
- ٣٤- مختار الصحاح: ٧٣٤.
- ٣٥- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: ٢/١١٤-١١٧.
- ٣٦- القزويني: مختصر شعب الإيمان: ٢٦.
- ٣٧- الكلمة الثالثة والعشرون، ص ٣٥٢.
- ٣٨- الكلمة السابعة، ص ٢٨.

١- الذاريات/٢٢-٢٣.

٢- موقع موسوعة ويكيبيديا.

٣- الرازي، مختار الصحاح، ٢٤١.

٤- الجمعة/١٠.

٥- الرازي، التفسير الكبير، ١/٣٠٠.

### المصادر

- ٣٩- المكتوب ٢٣، ص ٣٦٢.
- ٤٠- الملك/١٥.
- ٤١- الجمعة/٩-١٠.
- ٤٢- يوسف/٦٧.
- ٤٣- الترمذي: سنن الترمذي: ٤/٦٨٨.
- ٤٤- الترمذي: سنن الترمذي: ٢٣٤٥.
- ٤٥- البخاري: صحيح البخاري: ١/٦.
- ٤٦- السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٧٨.
- ٤٧- أخرجه أبي الدنيا في كتاب التوكل برقم ١٠.
- ٤٨- الغزالي: إحياء علوم الدين ٤/٧٥٧.
- ٤٩- القرضاوي، ١٩٩٦، ٤٥-٤٦.
- ٥٠- القزويني: مختصر شعب الإيمان-: ٢٧.
- ٥١- الكلمة الثالثة والعشرون، ص ٣٥٣.
- ٥٢- القرضاوي: التوكل /٢٩.
- ٥٣- الأنعام/١٥١.
- ٥٤- الحسيني، : ٥٥-٥٨.
- ٥٥- البغدادي: الفرق بين الفرق: ٩٤.
- ٥٦- الخالدي: ٥١٩-٥٢٠.
- ٥٧- ابن الجوزي: تلبيس إبليس: ٢٨٧.
- ٥٨- القرضاوي: التوكل / ٤٦.
- ٥٩- النساء / ٥.
- ٦٠- النساء / ١٠٢.
- ٦١- ابن الجوزي: تلبيس إبليس: ٢٧٨-٢٦٩.
- ٦٢- الكلمة الثالثة والعشرون، ص ٣٥٨.
- ٦٣- القرضاوي: التوكل/ ٧٠.
- ٦٤- يونس / ٣١.
- ٦٥- الكلمة ٣٢، ص ٧٢٨.
- ٦٦- الكلمة ٣٢، ص ٧٢٧.
- ٦٧- فرج، ٣٩: ١٩٩٨.
- ٦٨- الأحقاف / ٤٦.
- ٦٩- آل عمران: ١٦٣.
- ٧٠- النساء / ٩٥-٩٦.
- ٧١- الإسراء/ ٨٤.
- ٧٢- خليل / ١٩٨٦: ١٣٨-١٤٢.
- ٧٣- الرازي: مختار الصحاح: ٥٤٠.
- ٧٤- الرازي: مختار الصحاح: ٥٢٣.
- ٧٥- سابق، ١٩٦٧: ٩٥.
- ٧٦- سابق، ١٩٦٧: ٩٥.
- ٧٧- رسالة القدر: ٣.
- ٧٨- رسالة القدر: ٤.
- ٧٩- ياسين، ١٩٧٩، ١٤٣.
- ٨٠- شرح العقيدة الطحاوية: ٣٠١.
- ٨١- ابن القيم الجوزية: زاد المعاد: ٦٧/٣.
- ٨٢- النورسي، رسالة القدر: ١٠.
- ٨٣- أبو يحيى / ١٩٨٨: ٣٣.
- ٨٤- الشورى/ ٢٧.
- ٨٥- الزخرف/ ٣٢.
- ٨٦- النحل / ٧١.
- ١- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، ت/ ٢٦٥هـ، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط ٢، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٩٨٧.
- ٢- البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٧٣.
- ٣- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ت/ ٤٥٨هـ، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤.
- ٤- الترمذي، محمد بن عيسى السلمي أبو عيسى، ت/ ٢٧٩هـ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥- الجصاص، أحمد بن علي (ت/ ٢٧٠هـ)، أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، لبنان.
- ٦- الحسيني، سليمان جاد، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، رؤية شرعية، سلسلة كتاب الأمة، العدد (٥٣)، ١٤١٧هـ، الدوحة، قطر.

- ٧- الخالدي، محمود، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، دار الفكر للنشر والتوزيع. ط١٩٨٤.
- ٨- خليل ، محسن ، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي ، دراسة لمقولتي العمل والملكية دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦، ط٢.
- ٩- الرازي ، أبو عبد الله محمد القرطبي، التفسير الكبير، ط٢، ١٣٧٢هـ.
- ١٠- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٠.
- ١١- زيدان، عبد الكريم ، أصول الدعوة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ، مصر ، ط٢، ١٩٨٧.
- ١٢- سابق، السيد، العقائد الإسلامية، دار النصر للطباعة، ط٢، ١٩٨٦.
- ١٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٥٢م.
- ١٤- الشيباني، محمد بن الحسن، كتاب الاكتساب في الرزق المستطاب، تحقيق محمد عرنوس، مطبعة الأنوار، مصر، ط١، ١٩٣٨م.
- ١٥- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، المعجم الأوسط، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ١٦- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، ت/٥٠٥ هـ ، إحياء علوم الدين، ط٤، دار الخير، بيروت.
- ١٧- الفارس ، جاسم ، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، ١٩٩٠، شركة مطبعة الجمهور، الموصل.
- ١٨- فرج، عبد الفتاح محمد، دور المفهوم الإسلامي للتوكل في اتخاذ القرار واقتصاديات الإدارة، مجلة آفاق اقتصادية. أبو ظبي ، العدد (٧) السنة ١٩٩٨، ص ٣٩.
- ١٩- ابن فياض ، زيد بن عبد العزيز، الروضة الندية في شرح العقيدة الواسطية ، المطبعة اليوسفية، ط٢. ١٩٦٨.
- ٢٠- القرضاوي، التوكل، سلسلة تهذيب السلوك.
- ٢١- القزويني، مختصر شعب الإيمان، تحقيق عبد الله بن حجاج، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢٢- ابن القيم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين.
- ٢٣- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت/٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ٢٤- المودوي، أبو الأعلى، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام، ترجمة محمد عامر الحداد ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ، ١٩٨٥.
- ٢٥- النورسي ، بديع الزمان سعيد، رسالة القدر من كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة دار الحوادث، بغداد.
- ٢٦- النورسي ، بديع الزمان سعيد، الكلمات، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط٢، شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٠م.
- ٢٧- النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط١، دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.
- ٢٨- ياسين، محمد نعيم، الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط١، ١٩٧٩.
- ٢٩- أبو يحيى، محمد حسن، اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، عمان، دار عمار للنشر، ١٩٨٨.